رهائن المدائن..أزمة أخرى مفتعلة!

18-4-2005

الغريب أنه لم يسبق لنا أن سمعنا بمثل هذه الحوادث الطائفية بين الشيعة والسنة من قبل والغريب أكثر أن هذه الحوادث تحاول إظهار الشيعة بمظهر الضحايا والمساكين المغلوب على أمرهم، في حين أن أهل السنة متوحشون إرهابيون وفوضويون قتلة فيما لا يلتفت أحد إلى الممارسات الطائفية التطهيرية الحقيقية التي تجري على قدم وساق في مناطق جنوب العراق يوميا حيث الأغلبية الشيعية..ثمة

بقلم طارق ديلواني

دخلت القوات العراقية والأمريكية إلى المدائن وظهر زيف الادعاء بوجود مختطفين من السنة "لعائلات شيعية"، وتبين أن الأمر ليس أكثر من محاولة لاستهداف إحدى معاقل المقاومة العراقية السنية الخالصة...!

المتتبع للإنباء المتوالية من هذه المدينة التي لم تكن تحظى بأي اهتمام إعلامي من قبل في وسائل الإعلام العربية والعالمية يرى أن ثمة اختلالات وتناقضات في الحملة الواضحة ضد المدينة.

* ماذا عن استهداف السنة !

الغريب أنه لم يسبق لنا أن سمعنا بمثل هذه الحوادث الطائفية بين الشيعة والسنة من قبل والغريب أكثر أن هذه الحوادث تحاول إظهار الشيعة بمظهر الضحايا والمساكين المغلوب على أمرهم، في حين أن أهل السنة متوحشون إرهابيون وفوضويون قتلة فيما لا يلتفت أحد إلى الممارسات الطائفية التطهيرية الحقيقية التي تجري على قدم وساق في مناطق جنوب العراق يوميا حيث الأغلبية الشيعية..ثمة قتل لعلماء السنة وتعذيب لشباب السنة وثمة ترويع للعوائل والآمنين من أهل السنة في النجف وكربلاء والبصرة وحتى بعض مناطق بغداد .. وثمة استيلاء بالقوة على مساجد أهل السنة وكل هذا موثق بالصور والإثباتات لدى هيئة علماء المسلمين وغيرها من المرجعيات السنية السياسية منها والدينية وحتى العشائرية.. لكن أحدا من الحكومة العراقية أو الاحتلال الأمريكي أو الشرطة العراقية ومغاوير الجيش العراقي الأمريكي الصنع لم يلتفت لكل ذلك!

* تصريحات في أي اتجاه؟!

دور المرجعية الدينية الشيعة في إذكاء الفتنة واضح وتصريحات مشايخ وعلماء وسادة الشيعة في العراق كلها تصب في خندق التحريض ضد أهل السنة في العراق، والملاحظ أن الكذبة التي أطلقتها الحكومة العراقية دعمها عدد من رجال الدين الشيعة بنفس طائفي مقيت ولسنا هنا بصدد عرض تصريحات بعض مرجعيات الشيعية حول القضية.

في المقابل ثمة تصريحات تؤكد حقيقة هذه الكذبة المكشوفة من قبيل نفى الناطق باسم مكتب الشهيد الصدر في بغداد عبد الهادي الدراجي وقوع عمليات خطف وتهديد ضد الشيعة في المدائن التي قفزت فجأة إلى وسائل الإعلام لتتصدر صفحات الجرائد وعناوين نشرات أخبار الفضائيات.

أما نفي هيئة علماء المسلمين في العراق لوجود حالة نزوح جماعي للشيعة من المدائن، فكان أكثر وضوحا باعتبار الهيئة واحدة من المرجعات الدينية والسياسية للمسلمين السنة في العراق.

وكان مجلس الحوار الوطني العراقي اتهم في بيان له جهات لم يسمها بالوقوف وراء ما يجري في المدائن معتبرا انه عملية مدبرة لإبعاد العرب السنة وإيذائهم.

وقال الشيخ خلف عليان، عضو المجلس الذي يضم شخصيات دينية ومدنية وسياسية من السنة والشيعة أن "ما يجري هو حوادث مفتعلة من بعض الجهات التي تسعى لاختلاق هذه القصص لغرض ضرب منطقة معينة وإبعاد العرب السنة وإيذائهم بأي حجة، وخاصة في الأماكن التي تكون فيها المقاومة ضد القوات الأمريكية قوية".

في المقابل، قال تنظيم القاعدة ببلاد الرافدين في بيان يحمل توقيعه على شبكة الإنترنت محاولا استباق الأمور وقطع الطريق على المتربصين بالمدينة، أن "أزمة الرهائن في المدائن مختلقة لمنح القوات العراقية حجة لمداهمة البلدة، ومهاجمة المسلمين السنة، كما هاجموا الفلوجة وتلعفر والقائم وغيرها من المدن".

والمثير أن المسئول الذي ظهر على شاشات التلفاز ليتحدث عن حملة تطهير ضد الشيعة في المدائن، وكان يسعى لإعطاء صورة توحي بوجود نزاع طائفي هو موفق الربيعي الذي تدور شكوك حول هويته وأصوله الإيرانية وانتماءاته للمخابرات الإيرانية!!

* الدور الإيراني!

الدور الإيراني واضح وجلي، وبحسب التقارير الإخبارية التي أوردتها محطات التلفزة الأمريكية، فإن افتعال الأزمة جاء عبر قيام الإيرانيين بتحريك 3 عائلة إيرانية بقيادة شخص اسمه كريم ماهود لإسكانها في منطقة معسكر الفدائيين القريب من المدائن، وبحسب التقارير أيضا فإن هذه الأسر مارست أعمال سلب ونهب وأثرت على سمعة المدائن التي تسكنها غالبية سنية ولا يقطنها سوى 2% من الشيعة.

يلمس جميع العراقيين خصوصاً في المحافظات الجنوبية، التدخل السافر في الشأن العراقي ليس بدءاً بأحداث النجف وإشعال فتنة الحرب وتزويد المليشيات المسلحة بالمال والسلاح فحسب، بل تشير الوقائع إلى تغلغل أكثر من (35) ألف عنصر من الحرس الثوري الإيراني في المحافظات الجنوبية وفي المدن التي تقطنها الأغلبية الشيعية.

ولا يجد العراقي إلا تفسيراً منطقياً واحداً لكل هذه التدخلات الإيرانية في شئونه الداخلية ألا وهو استخدام مسألة العراق كورقة ضغط لمساومة البيت الأبيض في التخفيف من "هيجان" الإدارة الأمريكية بشأن مشروع إيران النووي واستبعادها من قائمة الدول الداعمة للإرهاب، وبالتالي كسب المزيد من الوقت لانجاز برنامج تسلحها النووي..

ولا يمكننا بأي حال من الأحوال إغفال التوقيت الذي اختاره من هم وراء الحملة ضد المدائن ومن قبلها الفلوجة والرمادي والموصل باقي المدن السنية المقاومة.

وفي تفسير عامل الوقت اجتهادات كثيرة أولها ما قلناه آنفا من دور إيراني واضح في التحريض ضد أهل السنة في العراق وافتعال الأزمات معهم في موازاة ما يدور في الأهواز وعربستان من استهداف لأهل السنة هناك، وإن كان الرابط بين الأمرين ضعيف جدا ..

ولعل إيران التي يتعاظم دورها يوما بعد يوم في العراق وتتغلغل أجهزة استخباراتها فيها أسرع من الهواء بحاجة إلى افتعال الأزمات التي تغطي على هذا الدور وتشغل به الحكومة العراقية السابقة والحالية التي لا يزال بعض رموزها معادين لإيران ورافضين لدورها الاستغلالي في العراق.

وفي الحديث عن طبيعة العلاقة الإيرانية العراقية ينبغي ذكر أن ثمة رفض كبير من قبل العراقيين لإيران وتدخلاتها لأن ثمة فوارق وخلافات حادة بين شيعة العراق العرب وشيعة إيران الفرس.

ولعل هذا ما عبرت عنه تصريحات عدة لوزير الدفاع العراقي السابق الشعلان أكثر من مرة ضد إيران العدو اللدود والأوحد بحسب تعبيره.

وباستثناء جماعة الحكيم والثورة الإسلامية ومنظمة بدر، فإنه لا حضور يذكر حتى في المرجعيات الدينية لإيران لا في أوساط الصدر ولا حتى في أوساط السيستانيين، وحتى في أوساط كثير من جماعة الحكيم السابق الذي اغتيل وحتى الحكيم الحالي.

ومن قبيل محاولة إيجاد القبول في الشارع العراقي ليس أفضل للإيرانيين من اللعب على وتر الطائفية فهو يمثل تحقيقا لمصالحها ويقرب شيعة العراق منها أكثر فأكثر.

وبعيدا عن عامل التوقيت يمكن قراءة الأشياء بوضوح أكثر من خلال اتهام وزير الداخلية العراقي فلاح النقيب المخابرات الإيرانية بالتدخل في المدائن..النقيب اعتبر أن الإعلام ضخم من الأحداث في المدائن بينما لعبت المخابرات الإيرانية دورا في تأزيم الأوضاع.

ولفهم الدور الإيراني في العراق ينبغي أن نلقي نظرة علي العلاقات الديموغرافية والسياسية والتاريخية بين الشعبين الإيراني والعراقي.

لإيران حدود طويلة مع العراق وترتبط الدولتان الجارتان بعلاقات دينية ومذهبية وثقافية وتاريخية متشابكة بل وهناك أسر وعشائر كردية في غرب إيران وشرق العراق وأسر وقبائل عربية في جنوبهما مقسمة بين البلدين. كما أنه وعلى الرغم من تهجير العديد من العراقيين من أصل إيراني إلى إيران خلال حكم البعث في العراق غير أنه لا يزال هناك عدد لا بأس به منهم يعيشون في المدن الشيعية التي تحتضن أضرحة أئمة الشيعة ويعمل معظم هؤلاء كسدنة لهذه الأضرحة.

علي الصعيد السياسي، هناك جالية عراقية كبيرة معظمها من الشيعة منفية في إيران لها مؤسساتها العسكرية والسياسية المعارضة كفيلق بدر والمجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق وحزب الدعوة وفصائل وشخصيات دينية سياسية أخرى. كما توجد في العراق جالية فارسية وكردية وعربية اهوازية منفية نزحت إلى العراق عقب قيام الثورة أو أثناء الحرب العراقية الإيرانية، حيث يتجاوز عددها 3 ألف شخص معظمهم ينتمون إلى فصائل سياسية وعسكرية معارضة للحكم الإيراني منها منظمة مجاهدي خلق.

فالجالية الكردية الإيرانية تعيش في كردستان العراق، حيث تستقر هناك أحزاب كردية إيرانية معارضة كحزب الديمقراطي الكردستاني الإيراني، والذي ينحصر نشاطها في العمل السياسي والثقافي بسبب العلاقات الودية بين إيران والأحزاب الكردية في كردستان العراق. فلا يمكن أن نفصل ما تقوم به تركيا وإيران من دور سياسي في العراق راهنا من دورهما التاريخي.

الثابت في السياسية الإيرانية العداء لعروبة العراق والتعامل معه طائفيا، وفي الوقت الذي تتكون فيه التركيبة الإيرانية من خمس عرقيات فرس وعرب وبلوش واذريين "نسبة لأذربيجان" وأفغان وأكثر من طائفة مضطهدة تتحدث طهران لا بل تحرض على الفتنة في العراق.

الدور الإيراني يبدو أكثر وضوحا عندما نعلم أن أول وسيلة إعلام بثت خبر "التطهير العرقي" المزعوم ضد الشيعة في المدائن كانت وسائل الإعلام الإيرانية!

* نزاع عشائري أم طائفي!

التداخل العشائري في العراق معقد جدا إلى درجة تدفعنا للتساؤل: هل ثمة نزاع طائفي حقيقة أم أن الأمر مجرد نزاع عشائري على بضعة كيلومترات من الأراضي..

ولعل في تصريحات رئيس الوقف السني في العراق عدنان محمد سلمان بعض الإجابات من قبيل حديثه أن ما يجري في المدائن ليس أكثر من نزاع عشائري على بعض الأراضي التي كانت مملوكة للدولة.

لكن ما يثير الدهشة في تصريحات هذا الرجل قوله أن عشائر كانت تسكن في دولة مجاورة قد قدمت إلى هذه المنطقة مما تسبب في نزاع بينها وبين العشائر التي تسكن المنطقة" في إشارة إلى عشائر قدمت من إيران المجاورة للعراق.. إذا إيران حاضرة مرة أخرى لتقوم بدور طائفي بلبوس عشائري!

وتظهر طبيعة التحريض الطائفي من خلال ما يشاع من أقاويل حول سبب وخلفيات هذه القضية، كقول الشيعة إن الرئيس العراقي المخلوع صدام حسين قد وزع هذه الأراضي على "السلفيين"!! وفي هذا تحريض واضح ضد الاتجاه السلفي في العراق!!

وتمتاز العشائر العراقية بتداخل طائفي غريب إلى درجة انقسام بعض العشائر، لا بل بعض الأسر بين الطائفتين الشيعية والسنية.

* المدائن ..نقطة التحول في العلاقة الشيعة الأمريكية!

هل بدأت أمريكا بتغيير نظرتها نحو شيعة العراق..سؤال قفز إلى الواجهة مع ظهور قصة المدائن ..

والحقيقة أن العلاقة بين أمريكا والشيعة في العراق تشهد بشكل غير ظاهر تأزماً كبيراً وتحولا قد تظهر ملامحه لاحقا، والسبب بالطبع تسهيلها للتغلغل الإيراني في العراق، حتى وصلت إلى وزارات الدولة ومؤسساتها فأصبحت إيران حاضرة بقوة في كل مكان في الشارع ومرافق الدولة وشريك دائم لامريكا في صناعة القرارات بخصوص العراق، بل وصل الأمر بالأحزاب الشيعية إلى رفع صور الخميني والخامنئي في بعض دوائر الدولة العراقية الرسمية.

وينظر البعض إلى التوبيخ العلني الذي صدر عن وزير الدفاع رامسفلد للشيعة، وزيارة وكيل وزيرة الخارجية الأمريكية إلى مدينة الفلوجه وليس إلى مدينة النجف أولى الإشارات التي كشفت عن ملامح الإستراتيجية الأمريكية في التعامل مع القوى السياسية العراقية.. والتي تتخلص في الاعتماد على بقايا البعث نظراً لتوجهاته العلمانية التي لا تشكل خطراً على مشروع نشر الديمقراطية في العراق، ومن جهة أخرى تحجيم دور المرجعية والأحزاب الشيعية التي لا تؤمن فكرياً ولا عملياً في الديمقراطية وتعد خطراً على مستقبل العراق.

كان شيعة العراق يرددون دائماً أنهم مستعدون للتحالف مع الشيطان في سبيل التخلص من نظام صدام وقد تحالفوا معه بالفعل إلا أن الشيطان الأكبر بدا يتململ من علاقته هذه بالعمائم السوداء.

الغباء السياسي صفة مزمنة لدى شيعة العراق والعلاقة مع إيران هي من مظاهر هذا الغباء الذي سيحول شكل العلاقة بينهم وبين المحتل الأمريكي.

للعودة للأعلى